تغْريبُ اللسان العربي وأثرُه على الانتماء

أ.د. كمال سعد أبو المعاطي أحمد

أستاذ علوم اللغة العربية وآدابها

جامعة الملك عبدالعزيز

ملخص البحث: هذا بحث عنوانه (تغريب اللسان العربي وأثره على الانتماء) وهو يهدف إلى الكشف عن مخاطر التغريب، وذلك بتوضيح مفهومه لغة واصطلاحا ، وبيان مظاهره وأسبابه والكشف عن أبرز أنواعه والنوافذ المروجة له ،مع التركيز على تغريب اللسان ؛لما له من أثر على الانتماء ودور في إضعافه. ومع اختلاف دلالة التغريب و تغيرها باختلاف الحدود الزمانية والأُطر الثقافية والسياسية والاجتماعية التي يُطلق فيها ، فقد انتهت هذه الورقة إلى أن التغريب تيار فكري ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية ، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي ؛وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة ،وجعلهم أسرى التبعية للحضارة الغربية ،و من ثم فقد تناولت مظاهر التغريب في كافة قطاعات الحياة من تعليم وإعلام واقتصاد وحياة اجتماعية ..و دعت إلى ضرورة تضافر الجهود للّتصدي له والبحث عن الوسائل العلمية الناجعة التي تناهضه وتقاومه، شرط أن تكون قابلة للتنفيذ ؛حتى نحفظ على أبناء الوطن هويتهم وانتماءهم .كما وضعت بعض التوصيات وطالبت المسؤولين بتنفيذها كلٌّ في قطاعه الذي يخصه .وطالبت بضرورة جعل الحفاظ على اللغة العربية قضية أمن قومي ودعت إلى ضرورة تطبيق التعريب الشامل في كافة المؤسسات موضحة أن التعريب هو الحل الناجع للحد من التغريب والقضاء عليه .— الأسلوب القرآني.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم – وبعد:

فقد شهدت المنطقة العربية في الآونة الأخيرة نشاطاً ملحوظاً في حركة التغريب طال مختلف مناحي الحياة وأنشطتها سواء في ذلك التعليمية، أو الإعلامية، أو الثقافية، بل إن الخطر تزايد حتى شمل جانباً واسعاً من حياتنا الاجتماعية.

ونظرة تحليلية لواقعنا العربي تؤكد أن مكمن الخطر ومنشأه يتمثل في "تغريب اللسان" الذي يمثل شطر الإنسان كما قال الشاعر العربي: "لسان الفتى نصف ونصف فؤاده..." إذ عن طريقه يتم تغريب الفكر وانتهاك الثقافة، ومن ثمَّ تغيير المفاهيم و تحطيم الثوابت.

وقد تأكد أنصار التغريب والداعون له من أن التعليم هو المدخل الأساس لتحقيق هدفهم في السيطرة التامة على الفكر والثقافة، ومن ثم العقول ومن بعدها مسخ الهوية وازدواج الانتماء، بل ربما زواله.

لذا؛ فقد احتالوا لصرفه عن دوره في الحفاظ على الثوابت العقدية والتراكمات الثقافية والقيم التاريخية التي لا وجود للأمة بدونها.

وعليه، فقد سعوا جاهدين إلى التحكم فيه؛ حتى يستطيعوا من خلاله النفوذ إلى ضمير الأمة، والعبث بمبادئها وعاداتها وتقاليدها، والتشكيك في معتقداتها وثوابتها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، حيث أخذ الغزو الفكري والمسلك التغريبي العلماني يتسلل إلى مجال التعليم، ومنه إلى شتى مجالات الحياة في مصر ومنها إلى سائر أركان الوطن العربي. وما تبع ذلك من إضعاف للهوية وازدواجية في الانتماء.

ونظرة سريعة في تاريخ أمتنا الحديث تكشف عن البداية الحقيقية لهذا المخطط الذي أثبتت الشواهد أنه بدأ مبكراً إبان حكم محمد علي لمصر، ومحاولته بناء مصر الحديثة، حيث جد في إرسال المبتعثين من الطلاب إلى أوربا؛ ليتعلموا فيها وينقلوا عن أهلها ما توهموه حضارة وتقدماً، وبعد عودتهم، أنعم عليهم بشغل وظائف مهمة، مكنتهم – مع مرور الوقت – من تغيير وجه المجتمع المصري ومن بعده وجه المجتمع العربي كافة، إذ أسهموا _ بمرور الوقت، وبجهود تلاميذهم الذين ينتشرون في ربوع الوطن العربي انتشار الخلايا السرطانية في الجسم المريض _ في تغيير بنية المجتمع ثقافياً وفكرياً.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الورقة التي تهدف إلى الكشف عن مخاطر التغريب وذلك بتوضيح مفهومه لغة واصطلاحاً، وبيان مظاهره وأسبابه والكشف عن أبرز أنواعه والنوافذ المروجة له، مع التركيز على تغريب اللسان؛ لما له من أثر على الانتماء ودور في إضعافه، واضعين في الاعتبار ضرورة تضافر الجهود للتّصدي له والبحث عن الوسائل العلمية الناجعة التي تناهضه وتقاومه، شرط أن تكون قابلة للتنفيذ؛ حتى نحفظ على أبناء الوطن هويتهم وانتماءهم.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يأتي البحث في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، تحدثت المقدمة عن التحديات التي تواجه لغتنا العربية وجعلت التغريب واحداً منها، وجاء المبحث الأول وعنوانه: مفهوم التغريب فتحدث عن التغريب في اللغة والاصطلاح، وحمل المبحث الثاني عنوان: مفهوم الانتماء فبين مفهومه في اللغة والاصطلاح واختلاف العلماء حول مسبباته ودواعيه، وحمل المبحث الثالث عنوان: التغريب النشأة والتطور، وأما المبحث الرابع فقد حمل عنوان مظاهر التغريب وأبرز مجالاته، و فيه حديث عن التغريب في مجال التعليم و الإعلام و الاقتصاد... إلخ، وجاء المبحث الأخير وعنوانه: مقاومة التغريب، ليُذكِّر بخطورته ويحذر منه، ويرسم الطريق لمقاومته والحد من انتشاره ثم تأتي الخاتمة متضمنة بعض التوصيات التي قد تساعد على التخلص من آثار التغريب عامة، وتغريب اللسان خاصة.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول

مفهوم التغريب

١–التغريب لغة:

جاء في لسان العرب[1]: وقد غَرَبَ عنا يَغْرُبُ غَرْباً، وغَرَّبَ، وأغْرَبَ، وغرَّبه، وأغْرَبه: نَحَّاه.

وفي الحديث: أَن النبي – صلى اللّه عليه وسلم – أَمَر بتَغْريبِ الزاني سنةً إِذا لم يُحْصَنْ، وهو نَفْيُه عن بَلَدِه.

والغَرْبة والغَرْبُ: النَّوَى والبُعْد، يُقال: غَرَّبَ في الأَرض وأَغْرَبَ إذا أَمْعَنَ فيها ونَوًى.

و غَرْبَةٌ: بعيدة. وشَأْوٌ مُغَرِّبٌ ومُغَرَّبٌ، بفتح الراءِ: بعيد.

والتغريب: النفيُ عن البلد الذي وَقَعَتِ الجِناية فيه. يقال: أَغربْتُه وغَرَّبْتُه إِذا نَحَّيْتَه وأَبْعَدْتَه.والتَّغَرُّبُ: البُعْدُ.

وغَرَّبه وغَرَّبَ عليه: تَرَكه بُعْداً.

والغُرْبَةُ والغُرْب: النُّزوحُ عن الوَطَن.. والاغْتِرابُ، والتغرُّب كذلك؛ تقول: تَغَرَّبَ، واغْتَرَبَ، وقد غَرَّبه الدهرُ.

ورجل غُرُب، بضم الغين والراء، وغريبٌ: بعيد عن وَطَنِه؛ الجمع غُرَباء، والأُنثى غَريبة.

وهكذا يتضح لنا من خلال تتبع المعنى اللغوي أن: "الإغراب" و"التغريب" يأتيان بمعنى واحد يدور حول: التنحية والإقصاء، أو الإبعاد عن الوطن. وأن "التغريب" مصدر للفعل غير الثلاثي "غرّب" وهذا الفعل مزيد بالتضعيف الذي من معانيه "الصيرورة والتحول"، فالتغريب انتقال إجباري وابتعاد اضطراري لا يملك الإنسان السلطة لرده أو دفعه، وهو ما يسميه

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: غ . ر . ب .وانظر: المعجم الوسيط: مادة (غ ر ب) ٢/٦٤٧

بعضهم "غربة القهر "[٢].

٢- التغريب اصطلاحاً:

يُطلق «التغريب» في الاصطلاح الثقافي والفكري المعاصر، غالبًا، على "حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخْذ بقيمها ونظمها وأساليب الحياة السائدة فيها، بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم الذي له هذا الموقفُ أو الاتجاه غربيًا في مُيوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، ينظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قِيم ونُظمٍ ونظرياتٍ وأساليبَ حياة نظرةَ إعجابٍ وإكبار، ويرى في الأخذ بها الطريقةَ المُثلى لتقدُّم جماعته أو أمته الإسلامية [٣]" .

وبالرغم من اختلاف دلالة التغريب و تغيرها باختلاف الأُطر الزمانية والثقافية والسياسية والاجتماعية التي يُطلق فيها ، فإن غالب الباحثين في هذا الموضوع يتفقون على أنه :

تيار فكري ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية ، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي ؛ وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة ، وجعلهم أسرى التبعية للحضارة الغربية [٤].

المبحث الثاني

مفهوم الانتماء

١- **الانتماء لغة:**

يدور معنى الانتماء في اللغة حول الانتساب، فانتماء الولد الى أبيه انتسابه إليه واعتزازه به، وهو مأخوذ من النمو والزيادة والكثرة والارتفاع. جاء في لسان العرب [٥]: وانْتَمَى إليه: انتسب، وفلان يَنْمِي إلى حسَبٍ ويَنْتمِي: يرتفع إليه.

وفي الحديث: "مَن ادَّعَى إلى غير أَبيه أَو انتَمَى إلى غير مواليه [أي: انتسب إليهم ومال وصار معروفاً بهم.]فعليه لعنة الله، المتابعة إلى يوم القيامة."[٦] ونَمَوْت إليه الحديثَ فأَنا أَنْمُوه وأَنْمِيه، وكذلك هو يَنْمو إلى الحسب ويَنْمِي، ويقال: انْتَمَى فلان إلى فلان إذا ارتفع إليه في النسب.

(٢) التغريب .. مفهوماً وواقعاً، فريد محمد، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٥٥٣، أغسطس ٢٠١١م. وانظر: الغربة في الشعرالجاهلي، عبد الرزاق الخشروم، ١٤منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٨٢م.

(٣) التغريب والغزو الصهيوني، عمر التومي الشامي، مجلة: الثقافة العربية، ليبيا، العدد ١٠ السنة التاسعة ١٩٨٢م، ص ١٦٢

(٤) انظر: التغريب: موقع شبكة السرداب الإسلامية، على الشبكة العنكبوتية، تاريخ الدخول ١٤٣٤/١١/١٧.

(٥) لسان العرب، لابن منظور، مادة: نمى. وانظر أيضاً مادة (نمى) في: القاموس المحيط للفيروزبادي، ومقاييس اللغة، والصحاح في اللغة.

(٦) الحديث رواه أنس بن مالك، انظر : الترغيب والترهيب ٣/ ١١٧.

ونَماه جَدُّه إذا رَفع إليه نسبه ؛ ومنه قوله : نَماني إلى العَلْياء كلُّ سَمَيْدَعٍ ، وكلُّ ارتفاعٍ انتماءٌ. يقال : انْتَمَى فلان فوق الوِسادة ؛ ونَمَيتُ فلاناً في النسب أي رفعته فانْتَمَى في نسبه.

وتَنَمّى الشيءُ تَنَمِّياً : ارتفع ؛ ونَمَّيت النار تَنْمِيةً إذا أَلقيت عليها حَطَباً وذكَّيتها به. وعَزَا فلانٌ نفسَه إلى بني فلانٍ يَعْزُوها عَزْواً وعَزَا واعْتَزَى وتَعَزَّى ، كله : انتَسَب ، صِدْقاً أَو كَذباً ، وانْتَمى إليهم مثله ، والاسمُ العِزْوَة والنِّمْوَة ، وهي بالياء أَيضاً.

والاعتزاءُ : الانْتِماءُ.

ويقال : إلى من تَعْزي هذا الحديث؟ أَي إلى مَن تَنْمِيه. قال ابن جريج : حدَّث عطاءٌ بحديث فقيل له : إلى مَن تَعْزِيه؟ أَي إلى مَنْ تُسْنِدُه ، وفي رواية : فقُلْتُ له أَتَعْزِيهِ إلى أَحد؟. يقال : عَزَيْتُ الشيءَ وعَزَوْتُه أَعْزِيه وأَعْزُوه إذا أَسْنَدْتَه إلى أَحدٍ.

٢-الانتماء : اصطلاحاً:

يُعرِّف "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية" الانتماء بأنه : ارتباط الفرد بجماعة ، يسعى إلى أن تكون عادة جماعة قوية ، يتقمص شخصيتها ويوجد نفسه بها ، شرط أن توفر له الإحساس بالأمان والرضا والفخر والاعتزاز بها .[٧]

وعلى الرغم من اختلاف الآراء حول الانتماء ما بين كونه اتجاهاً ، أو شعوراً ، وإحساساً ، أو كونه حاجة أساسية نفسية ، أو دافعاً وميلاً ، فإنها جميعاً تؤكد استحالة حياة الفرد بلا انتماء ، ذلك الانتماء الذي يبدأ صغيراً بهدف إشباع حاجه الإنسان الضرورية منذ ميلاده ، ثم ينمو بنمو الفرد ، إلى أن يصبح انتماء للمجتمع الكبير الذي عليه أن يُشبع حاجات أفراده. ولا يمكن أن يتحقق للإنسان الشعور بالأمن والحب والصداقة إلا من خلال الجماعة التي تقدم للفرد مواقف عديدة يستطيع أن يُظهر فيها مهاراته وقدراته. ويتوقف شعور الفرد بالرضا الذى يستمده من انتمائه للجماعة على الفرص المتاحة له كي يؤدي دوره بوصفه عضواً من أعضائها. [٨]

وتتعدد الاستخدامات المرادفة لكلمة "الانتماء" ، فتستخدم أحياناً بمعنى الهوية ، وأحياناً أخرى تأتي مرادفة لكلمة الولاء ، أو الانتساب ، كما تستخدم أحيانا بمعنى التوحد والاندماج.. وغيرها.[٩] ويدعم الانتماء الهوية باعتبارها الإدراك الداخلي الذاتي للفرد ، كما يسعى إلى توطيدها ، وهي في المقابل دليل على وجوده ، ومن ثم تبرز سلوكيات الأفراد كمؤشرات للتعبير عن الهوية وبالتالي الانتماء.

وعلى أية حال فإن الانتماء – بمفهومه الواسع – يعدُّ نتاجاً للعديد من المعطيات والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية فى المجتمع ، كما يمكن

---

(٧) انظر : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، أحمد زكي بدوي ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٢م.

(٨) انظر : تعزيز الهوية والانتماء لدى الأطفال والشباب العرب ، محمد عبده الزغير ، ٧

(٩) السابق ٧

عده مفهوماً نفسياً ذا بعد اجتماعي، وباقتفاده يشعر المرء بالعزلة والغربة، ويعتريه القلق والضيق وتنتابه المشكلات النفسية والاجتماعية التي لها تأثيرها على وحدة المجتمع وتماسكه.

وسوف نحاول فيما يأتي بيان أثر التغريب كتيار فكري واتجاه ثقافي وسلوك اجتماعي في زيادة، أو تقليل انتماء أبناء الأمة إلى أمتهم، وأثره في تعزيز الهوية أو إضعافها. وسوف يكون تركيزنا على " **تغريب اللسان** " لما له من أثر واضح في هذا المجال.

المبحث الثالث

التغريب النشأة والتطور

للتغريب جذور ممتدة في عالمنا الإسلامي، فمع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ومطلع القرن التاسع عشر بدأ ملوك المشرق التفكير في تحديث جيوشهم وتعزيزها؛ وذلك استعداداً لمواجهة تطلع الغرب الذي ما انفك ساعياً إلى بسط نفوذه الاستعماري على المنطقة إبان عصر النهضة الأوربية؛ فاستقدموا الخبراء الغربيين للتدريس والتخطيط للنهضة الحديثة وأرسلوا البعثات الواحدة تلو الأخرى إلى البلاد الأوربية.

وكان محمد علي والي مصر الذي تولى حكمها سنة ١٨٠٥م أول من بادر إلى بناء جيش على النظام الأوربي، وسارع إلى ابتعاث خريجي الأزهر الشريف؛ بغية التخصص في أوربا ونقل ما يجدونه نافعاً من مظاهر الحضارة الأوربية إلى مصر، وكان يهدف من ذلك إلى جعل مصر -كما زعم- قطعة من أوربا[١٠].

كما بدأت حركة التغريب نشاطا ملحوظاً في لبنان بدءاً من عام ١٨٦٠م، وذلك عن طريق الإرساليات التي وجدت في بيئة بلاد الشام آنذاك بيئة مناسبة للتنصير والتغريب.

ونظرة سريعة في تاريخ أمتنا الحديث تكشف عن البداية الحقيقية لهذا المخطط الذي أثبتت الشواهد أنه بدأ – كما قلنا مبكراً إبان حكم محمد علي لمصر، ومحاولته بناء مصر الحديثة، حيث جد في إرسال المبتعثين من الطلاب إلى أوربا ليتعلموا فيها وينقلوا عن أهلها ما توهموه حضارة وتقدماً، وبعد عودة هؤلاء كلفهم بشغل الوظائف المهمة، وأسند إليهم من المهام ما مكنهم من تغيير وجه المجتمع المصري، كما أسهموا - بمرور الوقت -في تغيير بنية المجتمع الثقافية والفكرية.

وسرعان ما أخذ الغزو الفكري والمسلك التغريبي يتسلل إلى مجال التعليم، ومنه إلى شتى مجالات الحياة في مصر ومنها إلى سائر أركان الوطن العربي. وما تبع ذلك من إضعاف للهوية وازدواجية في الانتماء، ولا أدقّ مما صوره اللورد "كرومر" عن الاختراق الفكري لمثل هذه البعثات حينما قال: "إن الشبان الذين يتلقون

---

(١٠) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٧١٩ -٧٢٤. إشراف وتخطيط ومراجعة د.مانع بن حماد الجهني، طبعة دار الندوة العالمية.

علومهم في إنجلترا وأوروبا يفقدون صلتهم الثقافية والروحية بوطنهم، ولا يستطيعون الانتماء في الوقت نفسه إلى البلد الذي منحهم ثقافته فيتأرجحون في الوسط ممزقين".

لقد تفاوت تأثير حركة التغريب التي تغلغلت في المنطقة العربية والدول الإسلامية ومعظم البلاد المشرقية إن لم يكن فيها جميعاً، حتى ظهر واضحاً في مصر وبلاد الشام وتركيا وأندونيسيا والمغرب العربي، وتدرج بعد ذلك في البلاد الإسلامية الأقل فالأقل، فلم يعد هناك بلد إسلامي أو مشرقي إلا وتجد فيه أثراً من آثاره أو بصمة من بصمات هذه الحركة التي تسعى جاهدة إلى بسط نفوذ الحضارة الغربية المادية الحديثة على هذه البلاد وربطها بالغرب فكراً وسلوكاً.

المبحث الرابع

مظاهر التغريب وأبرز مجالاته

إن الناظر في حال أمتنا الإسلامية وما تمر به يتبين أن الاستعمار الذي احتل المنطقة العربية لفترات طويلة، قد خلف عدداً من المشكلات التي ما زالت تعاني منها الأمة على الرغم من مرور عشرات السنين على الاستقلال، الذي كان صورياً، أو شكلياً _فيما يبدو_ فقد رحل المستعمر وخلف أذنابًا يتحركون باسمه ويحققون ما لم يستطع تحقيقه من مخططات هدفها السيطرة التامة على الفكر والثقافة، ومن ثّم العقول ومن بعدها مسخ الهوية وازدواج الانتماء، بل زواله.

فقد شهدت المنطقة العربية في الآونة الأخيرة نشاطاً ملحوظاً في حركة التغريب طال مختلف مناحي الحياة وأنشطتها سواء في ذلك التعليمية أو الإعلامية، أو الثقافية، أو الاقتصادية، بل إن الخطر قد تزايد حتى شمل جانباً واسعاً من حياتنا الاجتماعية.

ونظرة تحليلية لواقعنا العربي تؤكد أن مكمن الخطر ومنشأه يتمثل **في تغريب اللسان** الذي يمثل شطر الإنسان كما قال الشاعر العربي: "لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ..." إذ عن طريقه يتم تغريب النصف الثاني والسيطرة التامة على الإنسان العربي عقلاً وفكراً وثقافة وسلوكاً، ومن ثم تغيير المفاهيم المستقرة والثوابت الراسخة ذات التأثير المباشر وغير المباشر في عقيدته الفردية وعقله الجمعي فضلا عن سلوكه الشخصي والمجتمعي.

وسوف نعرض فيما يلي لأهم المنافذ التي يمكن أن ينفذ منها التغريب إلى أبناء الأمة وما قد يترتب عليه من مخاطر وآثار تؤثر بشكل مباشر في الانتماء الذي يعد العمود الفقري للهوية.

أولاً: في مجال التعليم

لقد تأكد للغرب أن التعليم هو المدخل الأساس لتحقيق هذا الهدف؛ لذا فقد احتال لصرفه عن دوره في الحفاظ علي العقيدة الدينية، والثوابت الثقافية والقيم الحضارية والتراكمات التاريخية التي لا وجود للأمة بدونها، وسعى جاهداً إلى التحكم فيه؛ حتى

يستطيع من خلاله النفوذ إلى ضمير الأمة، وعقلها الجمعي، فيعبث بمبادئها وعاداتها وتقاليدها، بل ويشكك في معتقداتها وثوابتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، **وقد حرص** على تحقيق ذلك مبكراً بدءاً بحركة الابتعاث التي بدأت في عهد محمد علي، ومروراً بفترة الاستعمار الإنجليزي والفرنسي لمعظم بلدان المنطقة العربية، ففي هذه الفترة أنشأ "اللورد كرومر "كلية" فيكتوريا" بالإسكندرية، وقصر الالتحاق بها على أبناء الطبقة الحاكمة وأبناء الزعماء والوجهاء؛ ليكونوا أدوات **لهم في المستقبل** ينفذون سياساتهم التغريبية، ويسهمون في الترويج للفكر الغربي وحضارته المزعومة، وتأكيد ذلك ما قاله اللورد "لويد"(المندوب السامي البريطاني في مصر) حينما افتتح هذه الكلية سنة ١٩٣٦م: فقد جاء في كلمته التي ألقاها بهذه المناسبة: "كل هؤلاء لن يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ[١١]". أضف إلى ذلك المناهج والمقررات الخاصة التي كانت تقدم لهم، وترسخ لمبدأ التغريب بعيداً عن أي إشراف أو متابعة من وزارة المعارف المصرية.

وقد استمر هذا السعي الخبيث لهدم التعليم وتغريبه لفترات طويلة وتحت سمع وبصر حكومات ووزارات متعاقبة، خاصة بعد أن قام اللورد "كرومر "بتعيين القس "دانلوب" مستشاراً لوزارة المعارف المصرية وأسند إليه مهمة تطوير التعليم، فما كان منه إلا أن وضع سياسة تعليمية تغريبية كان هدفها قطع الصلة بين أبناء الأمة العربية الإسلامية وبين مقومات هذه الأمة المتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية، و ما يحتويانه من الحضارة الإسلامية والثقافة العربية، وقد اتخذ "دانلوب" المثل الإنجليزي المشهور: "بطيء لكنه أكيد المفعول" منهجاً لتنفيذ سياسته لتغريب التعليم في مصر فسدد ضربات قاتلة للتعليم الأزهري الذي كان سائداً في تلك الفترة، بأن أهمل الأزهر، وتجاهل خريجيه، وحال بينهم وبين الوظائف العليا والمناصب الرفيعة والمكانة الاجتماعية التي كانوا يحظون بها من قبل، كما ضيق على اللغة العربية وحدَّ من انتشارها، في الوقت الذي أعلى فيه من شأن اللغة الإنجليزية فنشر لواءها وحث على تعلّمها، وجعل تعلمها شرطاً للفوز بالمناصب الرفيعة والوظائف العليا، كما شجع إنشاء المدارس الأجنبية، وسهل ذلك لمن يريد تمشياً مع سياسته التغريبية التي كانت تهدف إلى تحطيم كيان الأمة، ومحو هويتها، وإضعاف الانتماء لها في نفوس أبنائها. والعجيب أن تستمر هذه السياسة التغريبية التي مارسها الاستعمار حتى بعد اندحاره وجلائه عن بلدان المنطقة، إذ يبدو أن جلاءه كان صورياً، أو شكلياً، فقد رحل المستعمر وخلّف أذناباً يتحركون باسمه ويحققون ما لم يستطع تحقيقه من مخططات هدفها السيطرة التامة على الفكر والثقافة،

(١١) من أخلاق المؤمنين، حسن جودة، ٤٢٢، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٤م

ومن ثمّ العقول ومن بعدها مسخ الهوية وزوال الانتماء.

فعلى المستوى التعليمي يعجب المتابع من تعالي صيحات بين الفينة والأخرى تطالب بإحلال الإنجليزية محل العربية في التعليم العام، حتى في مدارس المرحلة الابتدائية، وكأنه لم يكفهم ما حدث من سيطرة الإنجليزية على مراحل التعليم الجامعي، حتى باتوا يطالبون بسيطرتها على التعليم العام بمراحله المختلفة؛ مع ما في هذه الدعوة من خطر محدق وضياع لهوية أبناء وتلاميذ هذه المرحلة، متجاهلين في ذلك كل التحذيرات التي نبه إليها المخلصون من علماء التربية وعلماء اللغة، يقول الدكتور أحمد الضبيب "إن الأجدر بالطفل الصغير أن تخصص سنواته الدراسية الأولى لإجادته لغته العربية، والارتباط بثقافته وتنمية المحبة لها من خلال الولاء لوطنه وتراثه وأمته، وأن يستغل كامل وقته من أجل أن يلم بالمهارات الأساسية، ومنها النطق بلسان عربي فصيح، والتعبير بفكر متناسق واضح، لا أن يتلجلج لسانه بالرطانات، ويشوش دماغه بالانتماء لعدة لغات "[١٢]

ويقول أيضاً: "إن من الشطط الكبير أن نفرض على أبنائنا تعلُّم اللغة الإنجليزية منذ نعومة أظفارهم، وأن نتمادى بتدريسهم المواد العلمية بالإنجليزية، فنضيف إلى المجهود الذي يبذلونه في فهم المواد مجهوداً آخر يتمثل في فك رموز اللغة الأجنبية وحفظ مفرداتها والإلمام بقواعدها، ونشتت أذهان هؤلاء الصغار بين لغتين، مما سوف ينتج عنه آثار سلبية على هؤلاء الأطفال تتمثل في الازدواجية اللغوية، التي تجعل اللغة الأجنبية مساوية للغتهم الأم، الأمر الذي يضعف لديهم الانتماء الوطني، والارتباط بالثقافة العربية "[١٣]

ويؤكد ذلك مجموعة الدراسات التي أجريت في بلدان مختلفة، التي انتهت إلى أن الأولى بتلاميذ المرحلة الابتدائية أن تقدم لهم العلوم بلغتهم الأم؛ لأن في هذا تأسيساً وترسيخاً لتلك اللغة وتمكيناً لها في الألسنة والعقول. وفي ثلاث دراسات أجريت على الطلاب الفلبينيين الذين يستخدمون اللغة الفلبينية في دراسة العلوم تبين أن هؤلاء الطلاب قادرون على فهم التعابير العلمية بشكل أفضل من الطلاب الذين يستخدمون الإ نجليزية "[١٤]

وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يتوجب على القائمين على العملية التعليمية في عالمنا العربي الإقرار بأن تعلم اللغة الأجنبية ليس ضرورياً لكل فرد في التعليم العام، خاصة في مراحله الأولى التي يفترض فيها الالتزام بتقديم الضرورات التي يحتاجها الفرد في حياته وتقديم

---

١٢ –اللغة العربية في عصر العولمة، أحمد الضبيب، ٤٢، مكتبة العبيكان بالرياض ٢٠٠١م

١٣ – انظر: اللغة العربية في عصر العولمة، أحمد الضبيب ٤٢ – ٤٣.

١٤ – تعليم العلوم باللغة العربية، اتجاهات وحلول، فؤاد صياح، ١٥٢ –١٥٦، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، بيروت ٢٠٠٠م

كل ما من شأنه أن يرسخ الهوية ويعزز الانتماء، من لغة وتاريخ و دين وثقافة وقيم و مبادئ... إلخ. أما ما يتفاوت فيه الناس من تعلُّم اللغات الأجنبية، والرغبة في التعرُّف على ثقافات الشعوب الأخرى فهذه متروكة لأفراد المجتمع يجتهد فيها كلٌّ بحسب ميوله واتجاهاته واحتياجاته التي يختارها من غير فرض، أو إجبار، إذ من المعلوم أن الطفل في مراحل التعليم الأولى لا يملك هذه القدرة[١٥]، ومن ثم لا ينبغي أن نفرض عليه من العلوم ما يمكن أن يؤثر في تكوينه الفكري والثقافي بما قد يضره مستقبلاً ويؤثر في انتمائه لوطنه وثقافة مجتمعه.

ولنا أن نتساءل: إذا كان تعلم اللغة الإنجليزية في الصفوف الابتدائية مطلباً حضارياً – كما يزعم هؤلاء – فأي الدول المتقدمة الكبرى مثل: فرنسا وألمانيا والصين وروسيا واليابان أخذت بذلك، ولماذا حُرِمت هذه الدول من خيرات اللغة الإنجليزية وتركتها لتنعم بها بعض الشعوب النامية؟! وما الذي أفادته هذه الدول النامية من ذلك التعليم وقد مضى على بعضها أكثر من مائة سنة تدرس فيها العلوم منذ الصفوف الابتدائية باللغة الأجنبية فرنسية، أو إنجليزية[١٦].

وبناءً عليه، فإنه يجب على المسؤولين عن التعليم في الدول العربية الرجوع عن أية قرارات سابقة تُلزِم مدارس التعليم الابتدائي بتدريس اللغات الأجنبية بجانب اللغة العربية في المراحل التعليمية الأولى للطفل؛ لأن ذلك يؤدِّي إلى عدم إتقان الطفل للغتِه العربية الفصحى، الأمر الذي قد يتسبَّب في وجود عائقٍ يمنع الطفل من الاتصال بتراثه العربي والإسلامي، إضافة إلى ما يمكن أن يؤدي إليه من تشرب الطفل ثقافة اللغة الأجنبية التي يدرسها، وترسيخ التبعية للأجنبي والاستخفاف – مستقبلاً - بكل ما هو عربي، وازدراء التراث والتعلق بأنماط الثقافة الأجنبية الوافدة، وهي أمور لها تأثيرها الخطير والمباشر في انتماء هؤلاء الأبناء لأوطانهم وأمتهم العربية أو الإسلامية، "وفي ذلك كله تعميق للهزيمة النفسية وتعويق عن النهوض"[١٧]؛ إذ لا ينكر أحد أن اللغة وعاء الثقافة، وأنها أداة بناء الفكر والوجدان وهي _ أيضاً_ سياج الأمان الذي يحفظ الهوية ويعزز الانتماء.

ولا ينكر أحد أن الأمم الحية هي تلك الأمم التي تُعنى بلغاتها أيما عناية، فنراها تعمل على نشرها، والاعتزاز بها، والتمسك بها رمزًا لهويتها، فاليابان قد استسلمت في الحرب العالمية الثانية تحت وطأة القنابل الذرية الأمريكية، حتى فرض الأمريكيون شروطهم المجحفة عليها، مثل تغيير الدستور، ونزع السلاح، وحل الجيش... إلخ، وقد قبلت اليابان جميع تلك الشروط ماعدا شرطًا واحدًا لم تقبل به، هو التخلي عن لغتها القومية في التعليم. وفي بريطانيا أصدر المجلس

١٥ – انظر: العربية والعولمة معالم الحاضر وآفاق المستقبل، عمر خاطر، ٧٢، مؤسسة حورس، الإسكندرية ٢٠١٠م.

١٦ – انظر: السابق ٧٤

١٧ – انظر: العربية والعولمة معالم الحاضر وآفاق المستقبل، عمر خاطر ٧١.

القومي لمعلمي اللغة الإنجليزية قرارًا يقضي بأنّ على كل معلم أن يكون معلمًا للغة الأم أولاً ؛ لأنّ تعليم اللغة إنّما هو مسؤولية جماعية.

والإسرائيليون قد أحيوا لغة دينية ميتة هي اللغة العبرية، فاعتمدوها في جميع شؤون حياتهم تعليمًا وإعلامًا وتواصلاً.[١٨]

وأما العربية فقد أقصيت من كثير من المدارس والجامعات والمحافل الدولية، واصطنع أعداؤها فكرة مفادها أنّ اللغة العربية لغة أدب ودين وليست لغة علوم وتقنية. وقد أثّر ذلك على العربية ؛ فلم تعد لغة تعليم وتعلُّم كما كانت قديمًا بل حلّت لغات أجنبية محلها بالرغم من الغنى والثراء الموجود في اللغة العربية ".[١٩]

إنّ غرس الانتماء إلى الأمة ولغتها الشريفة في نفوس الجيل تخليصًا له من عقدة التصاغر تجاه اللغات الأجنبية وخاصة اللغة الإنجليزية لا بُدّ من أخذه بالحسبان في مناحي الحياة كافة حفاظًا على ثقافتنا وهويتنا، ولا ينفي ذلك الانفتاح على الثقافات الأخرى ؛ لأنّ الحفاظ على الهوية لا يعني الجمود، أو التنازل، بل هو عملية تتيح للمجتمع أن يتطور دون أن يفقد هويته الأصلية، وأن يقبل التغير دون أن يغترب فيه في تفاعل بناء بين الأصالة والمعاصرة.[٢٠]

ثانياً: في مجال الإعلام

وأما عن المستوى الإعلامي الذي يعدُّ من أهم الوسائل الفاعلة والمؤثرة في بناء الشخصية العربية وتشكيلها، ومن ثم زيادة الانتماء وإبراز الهوية، فحدث ولا حرج ؛ خاصة بعد أن تمكن منه اللحن والفساد اللغوي لدرجة لم يترك معها أية وسيلة من وسائله سواء في ذلك وسائله المسموعة والمرئية، بل والمقروءة أيضاً، وأصبحت المصطلحات الأجنبية تجلجل في جنباته حتى صارت معظم برامجه وموضوعاته تقدم إما باللهجات المحلية، أو باللغات الأجنبية، واقتصر استخدام اللغة الفصحى في معظم وسائله على البرامج الإخبارية فقط، هذا إن سلمت هذه اللغة من اللحن والدخيل أو التشويه الذي بات متعمداً في كثير من الحالات.

لقد أصبح الإعلام العربي _للأسف الشديد_ أداة لتسويق اللغات الأجنبية ونشر ثقافتها بين العرب، ومن يتتبع وسائل الإعلام العربية يتبين له مدى ما انتهى إليه حال إعلامنا العربي، وهي حال تستلزم بذل الجهد لتغييرها وتعديل مسارها الذي انحرف عن الجادة ؛ لما للإعلام من أهمية في تشكيل الوعي القومي الذي تعدُّ اللغة أحد أهم مقوماته.

(١٨) انظر: اللغة العربية وتحديات العصر، د.محمود أحمد السيد: ١٦٧ -١٧١.ط، ٢٠٠٨م.

(١٩) العولمة وأثرها على اللغة العربية د. عصام عيد أبو غربية: ٤٤٧، أعمال المؤتمر الدولي للغة العربية ومواكبة العصر (الأول)الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣١هـ.

(٢٠) انظر: اللغة العربية وتحديات العصر: ٦٥.

إن هذا الكم الهائل من المفردات والتعبيرات التي نستمع إليها ليل نهار في وسائل إعلامنا المسموعة والمرئية يؤكد على تسلل التغريب إلى تلك الوسائل وتمكنه منها؛ والخطير في الأمر أنها من أكثر وسائل الإعلام انتشاراً وتأثيراً، فلا تكاد تستمع إلى متحدث في تلك الوسائل إلا وتجد في أثناء حديثه بعض تلك الكلمات الأجنبية التي تسللت إلى لغتنا العربية واتسع انتشارها على حين غفلة من أهلها، وبخاصة ما يجيء منها على ألسنة بعض المثقفين، ومن يدعونهم "نجوم المجتمع" من فنانين ورياضيين فهؤلاء — للأسف الشديد – ينظرون بجهلهم إلى العربية "نظرة ازدراء وامتهان ويتعالون عليها في كل مناسبة، وبدون مناسبة، حتى صارت لغة لا يخجل من الخطأ فيها أحد، ولا يسعى لإتقانها إنسان، ولا يعبأ أن يجيدها مثقف[٢١]".

وقد تجاوز الإعجاب باللغات الأجنبية المثقفين إلى العامة، حتى أولئك الذين لا يجيدون تركيب جملة أجنبية واحدة، أو نطق بعض كلماتها، تراهم يقلدون ما يسمعون من ألفاظ وعبارات.[٢٢]

وهؤلاء جميعاً لا يدركون خطورة هذا المسلك، أو ربما يدركون ذلك ويتعمدونه ويصرون عليه؛ لحاجة في أنفسهم يسعون لقضائها، أو لغرض غير نبيل يعملون لتحقيقه.

وعليه، فلابد من المطالبة بميثاق شرف إعلامي، تحدد فيه وظيفة الإعلام العربي، وتوضح فيه مهمته، ودوره في الحفاظ على هوية الأمة، وتعزيز روح الانتماء لدى أبنائها، كما يجب الإكثار من القنوات الإعلامية الهادفة التي تعمل على توعية المسلمين، وأبناء الأمة العربية بحضارتهم، وتبرز لهم أهم خصائصها والعوامل التي تساعد على نهضتها، كما يجب أن تتضافر وسائل الإعلام المختلفة، وتتبنى من البرامج والخطط ما يسهم في توعية المسلمين، وتعميق روح الانتماء في نفوسهم، مع بيان قيمته في حياتهم المعاصرة؛ و إظهار أن الانتماء إلى الأوطان يعزز من حبها في النفوس، ويُعلي من مكانتها في القلوب، ويدعو إلى الإخلاص لها، كما يدفع إلى العمل الجاد والمشاركة الفاعلة من أجلها.

كما يجب على وسائل الإعلام الابتعاد تماماً عن تلميع بعض أدعياء الثقافة من الفنانين والإعلاميين والرياضيين الذين يروجون في كلامهم وأفعالهم ومظهرهم لثقافة الغرب غير عابئين بخطورة ما يقدمونه وتأثير ذلك على أبنائنا وأخلاق مجتمعنا التي تستمد قيمها وقدوتها، وسلوكها وأخلاقها من كتاب ربها وسنة نبيها (صلى الله عليه وسلم).

---

(٢١) انظر: اللغة العربية بين الموضوع والأداة، د. أحمد مختار عمر، مجلة فصول المجلد الرابع، العدد الثاني، يونيو ١٩٨٤م، ص ١٤٢، وانظر أيضاً: اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٢٧.

(٢٢) انظر: (التعريب والتغريب) د. عوض بن حمد القوزي: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ١٠٢، ص ٧٥ -٨٨.

فالذي لا شك فيه أن تقديم مثل تلك النماذج السيئة في المجتمع والترويج لها والتركيز عليها، يؤدي إلى شعور الفرد بنقص الانتماء لمجتمعه ووطنه الذى يعيش فيه، فلنتنبه لذلك ولنركز اهتمامنا على البرامج التي تبرز ما يشتمل عليه هذا الدين من قيم أخلاقية ومبادئ تكرس الهوية وترسخها وتزيد من الانتماء وتعززه.

علينا أن نهتم بتثقيف اللسان العربي، وأن نغرس حب اللغة العربية وآدابها، وتاريخنا الإسلامي وما يحويه من بطولات في نفوس أبنائنا ومواطنينا، وذلك من خلال المواد والبرامج الإعلامية المختلفة، ولا بأس هنا من الاستعانة بأنواع الفنون المباحة، ونشر تلك المواد بلغة عربية صحيحة وسهلة تتناسب وطبيعة العصر الذي نعيشه، مع تسليط الضوء –دائماً – على رموز المجتمع الحقيقين من علماء ورجال فكر وثقافة، خاصة أولئك الذين نجحوا في حياتهم وأضافوا لمجتمعاتهم كثيراً من الإنجازات، وإعطاء صورة مشرقة عن تلك الرموز، التي يجب أن تتحلى – بداية – بالحفاظ على القيم الإسلامية والخلق الحسن والسمعة الطيبة، فتقديم مثل هذه الرموز من شأنه أن يُعلي من قيمة الوطن ويعزز من الشعور بالانتماء.

ثالثاً: في مجال الاقتصاد

لم يعد مجال الاقتصاد والعمل بأسعد حالاً من سابقيه؛ إذ أصبحت اللغات الأجنبية عقبة كبيرة وحجر عثرة أمام كثير من الباحثين عن وظيفة، أو مصدر رزق يحفظ لهم حقهم في العيش الكريم؛ فقد أصبح إجادة اللغات الأجنبية وإتقانها مطلباً جوهرياً للعمل، حتى وإن كان هذا العمل يجري في بيئة عربية ووسط لا يتطلب أي مستوى لإتقان اللغة الأجنبية؛ الأمر الذي ضيَّق من مجالات العمل المتاحة للشباب في معظم الدول العربية، حتى في بعض البلدان التي تتوفر بها فرص مناسبة لعمل هؤلاء؛ إذ بات الجميع متمسكاً بشرط إتقان اللغة الأجنبية، الأمر الذي قد يزيد من تفاقم أزمة البطالة، وما قد يترتب عليها من مشكلات و فساد اجتماعي وأخلاقي ما انفك يهدد معظم مجتمعاتنا العربية.

والعجيب أن ينظر كثير من الناس ذوي النظرات الضيقة والحاجات الآنية – خاصة أصحاب الفكر الاقتصادي البحت – إلى قضايا التنمية في بعض الدول العربية ذات الاقتصاد القوي نظرةً ماديةً ونفعيةً بحتةً، دون استشرافٍ منهم للمستقبل، أو النظر إلى الانعكاسات السلبية على الأساسيات التي لا يجوز التفريط فيها لقاء أي مكسب وقتي" (٢٣) مهما كانت قيمته، أو وزنه الاقتصادي.

ولذلك يتوهم هؤلاء – خاصة أصحاب الأعمال منهم – أن مصلحة السوق الوطني ربما تتأثر سلباً إذا استُخدِمت اللغة الأم (أقصد اللغة العربية) في

(٢٣) اللغة العربية في عصر العولمة، أحمد الضبيب ٦٧.

المعاملات التجارية، ومن ثمَّ نراهم يتنافسون في استقدام العمالة الأجنبية التي يعهدون إليها بتنمية مؤسساتهم وإدارة مواردهم المالية، ولا يعتمدون في ذلك على أبناء أمتهم – مهما بلغت كفاءتهم -إلا في أضيق حدود، وبعد أن يتأكدوا أنهم يتقنون إحدى اللغات الأجنبية إتقاناً تاماً؛ حتى باتت "اللغة الأجنبية تتمدد في سوق العمل لدينا بصورة سرطانية، تنهش هويتنا وتهزأ بوجودنا، وتحاول أن تجعل منا ماضياً وأشباحاً تدور في فلك غريب يبعد بنا عن تكويننا الثقافي وجذورنا الأصلية وملامح شخصيتنا المتميزة، وفي ذلك من الخطر ما يجب التنبه له، وأخذ الحيطة منه والتحرك بسرعة لتفاديه(٢٤) "إذ لا شك أن هذا الاتجاه يمثل معول هدم لأي انتماء يمكن غرسه في نفوس أبنائنا؛ لأنه يحول بينهم وبين الحصول على الوظيفة المناسبة التي تحفظ لهم كرامتهم وتضمن لهم مصدَرَ رزقٍ كريمٍ، وتشعرهم بقيمتهم في وطنهم، خاصة بعد أن أمضوا سنوات عمرهم في مراحل التعليم المختلفة وحصلوا على شهادات علمية راقية، ثم كان أصحاب الأعمال من بني جلدتهم أول من تنكر لهم وأنكرها عليهم، فلم يعترفوا بهذه الشهادات، ولم يقدروا جهود هؤلاء الأبناء، وفضلوا عليهم عمالة أجنبية وافدة؛ وهذا أمر قد يؤثر سلباً في انتماء هؤلاء الشباب، ويزيد من نقمتهم على بلدانهم؛ فالشعور بالانتماء مرتبط إلى حد بعيد بإشباع الاحتياجات

(٢٤) اللغة العربية في عصر العولمة، أحمد الضبيب ٦١.

وتحقيق الذات، ولعل الحصول على وظيفة أو عمل هي أشد احتياجات الإنسان في هذا الزمان.

ونقول لهؤلاء إن الواقع والتجارب التي مرت بها كثير من الدول المتقدمة تؤكد أن العكس هو الصحيح، فما من دولة من الدول حرصت على إعلاء شأن لغتها الأصلية واستخدمتها في حياتها الثقافية والاقتصادية والسياسية إلا وحققت نجاحا في كل تلك المجالات، ففرنسا – وهي من دول الاتحاد الأوربي - ومن أكثر أمم الأرض اعتناء بلغتها وحرصاً عليها وعلى نشرها بين الناس قد سنت قانوناً في عام ١٩٩٤م يحفظ لغتها الأم من سيطرة الإنجليزية التي باتت تشكل خطراً عليها، وجعلت من مواده:

لزوم استخدام اللغة الفرنسية في وصف وبيان وتسمية الممتلكات والمنتجات والخدمات وتقديمها وعرضها، وكذلك النصوص الدعائية والإعلانات المخصصة للإعلام الجماهيري، ومنها: قوائم وجبات الطعام والفواتير وبراءات الذمة وإيصالات الدفع وتذاكر النقل وعقود التأمين وعروض الخدمات المالية وكذلك طرائق استخدام الأجهزة الكهربائية والإلكترونية، والكتيبات والمنشورات الدعائية المرفقة معها(٢٥)... إلخ.

ومما يؤكد ذلك ويدعمه ما يمكن أن يُؤخذ من

(٢٥) العربية والعولمة معالم الحاضر وآفاق المستقبل، دكتور عمرو خاطر عبد الغني ١٠٥، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية ٢٠١٠م.

ممارسات الدول المتقدمة في أوربا وغيرها، فالسياحة مثلاً من أكثر الصناعات ازدهاراً في أوربا، ومع ذلك فإن الأوربيين لا يكادون يغيرون من أنماطهم التقليدية – وعلى رأسها اللغة – شيئاً من أجل عيون السياح. وقارن هذا بما يحدث في منطقتنا العربية، وكيف يحرص رجال السياحة على تقديم الخدمة باللغات الأجنبية، ظناً منهم أن هذا سيصب في صالح العمل وسيجذب المزيد، ومع ذلك لم يستطع هؤلاء المنافسة في هذا المجال بالرغم من توفر كافة الإمكانات التي تؤهل منطقتنا لأن تكون من أكثر الدول جذباً للسياح، فمصر مثلاً يوجد بها أكثر من ثلثي الآثار الموجودة في العالم، وتمتاز بطقس معتدل معظم أيام العام، ومع ذلك لم تصل إلى ما وصلت إليه إسبانيا التي يرتادها أكثر من خمسين مليون سائح سنوياً، ومع ذلك لم تفرط في لغتها ولم تقدم أية تنازلات من أجل جذب السياح، "فلم يكتب الإسبان أسماء شوارعهم، أو تعليمات المرور بلغة أجنبية ولم يغيروا الإرشادات في متاجرهم أو مقاهيهم أو فنادقهم إلى اللغة الأكثر استعمالاً في العالم أعني الإنجليزية[٢٦].

ويذكر الدكتور أحمد الضبيب أنه نزل ذات مرة في فندق من فنادق الدرجة الأولى في مدينة قرطبة التاريخية المكتظة بالسياح الذين يتحدث أكثرهم الإنجليزية، ومع ذلك وجد صعوبة حقيقية في التحدث مع العاملين في الفندق باللغة الإنجليزية، إذ لم يجد منهم من يملك الحد الأدنى من هذه اللغة [٢٧]".

ومن ثم، فإنه يتحتم على رجال الأعمال العرب أن يدركوا "أن اللغة في أية دولة هي أهم مظاهر السيادة ، فإذا استُغني عنها بلغةٍ وافدة صارت الهيمنة اللغوية لغير اللغة الأم، ومن ثم تسقط الهوية وتضيع "ويقل الانتماء، أو ربما يزول، وفي هذا من الخطر ما فيه ؛ إذ إن الشخص الذي لا ينتمي لوطنه غالباً ما تسيطر عليه نفس عدائية ويسهل عليه التخريب، يقول الدكتور، عثمان بن صالح: "إذا أنكر المجتمع على الفرد إشباع حاجاته، فإنه - الفرد - قد يتخذ موقفاً سلبياً إن لم يكن أحياناً عدائياً للمجتمع، إذ قد يلجأ إلى مصادر بديلة، يوجه إليها اهتمامه وانتماءه، وقد تكون مصادر غير مرغوب فيها أحياناً، ولها عواقبها السيئة على كل من الفرد والمجتمع[٢٨] "فعلينا إذن أن نبادر بمواجهة هذا الخطر، وأن نعمل للقضاء عليه قبل أن تلفنا العولمة بضبابها وتأخذنا بأمواجها إلى حيث تتعذر الرؤية ويصعب الرجوع.

رابعاً: في مجال الثقافة

الثقافة: ثمرة من ثمار العمل الإنساني الواعي أو غير الواعي لمجتمع ما، أو هي التعبير عن حركة هذا المجتمع

(٢٦) انظر : السابق : ١٠٥

(٢٧) اللغة العربية في عصر العولمة ٦٠

(٢٨) مفهوم الانتماء، مجلة آفاق، مركز آفاق للدراسات والبحوث.

البشري في الماضي والحاضر والمستقبل(٢٩). وتعدُّ اللغة العربية - التي هي أبرز جوانب الثقافة وأوضح معالمها -مقوماً مهماً من مقومات الشخصية العربية والهوية الإسلامية، وذلك بما تحمله من دلالات وخصوصيات، فهي أداة التفكير والتواصل كما أنها تمثل الذاكرة الحية للشعوب والمجتمعات العربية، فضلاً عن كونها وعاء للتراث والتقاليد والأعراف. وتشكل اللغة مع الدين أهم ركيزتين لأي ثقافة أو حضارة، خاصة في حالتنا العربية الإسلامية، حيث الارتباط الوثيق بين اللغة العربية والدين الإسلامي.

إن المتابع لواقعنا الثقافي يتبين له أن الثقافة الغربية بكل أشكالها لم تنفك تغزو العالم بأسره، وأنها ما زالت تمضي في طريقها تغزو سائر الثقافات حتى باتت تهددها بالزوال.

ومع قناعتنا بأن: "أي تأثير ثقافي بثقافة أمة ما، أو مجموعة من الأمم لا يمكنه مهما كان شديداً أن يلغي جميع خصائص الثقافة القومية التي هي ظاهرة تاريخية غارقة في القدم وبطيئة جداً في سيرها وانتقالها وتغيرها"(٣٠) إلا أنه يجب علينا أن نحتاط لأنفسنا ولثقافتنا حيال ذلك الغزو الفكري والثقافي الذي يتهددنا ليل نهار، ولكي نوقف هذا الخطر الداهم علينا أن نحدد نوافذه التي يتسلل منها إلى مجتمعاتنا وثقافاتنا؛ إذ لا شك أن عملية التأثير والتأثر يتحكم فيها مجموعة من العوامل منها التاريخي والجغرافي ومنها الاقتصادي والسياسي ومنها أيضاً الاجتماعي.

إن حضارة المسلمين الأوائل التي صارت منذ القرن الثامن الهجري حضارة عالمية تؤثر في غيرها ما كان لها أن تمارس تأثيرها في عالم الغير إلا بعد وصولها إلى مستوى عالٍ من التطور والتقدم في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية، فضلاً عن الالتزام الديني والرقي الأخلاقي.

إن التحذير من الغزو الثقافي الذي يتهدد أمتنا لا ينبغي حصره في أنه مجرد شأن إسلامي يثيره الإسلاميون فقط، بل يجب النظر إليه على أنه شأن عام يشترك فيه كافة التيارات والاتجاهات سواء في ذلك الإسلامية منها، أو القومية، وما ذاك إلا بسبب استشعار الجميع خطورة هذا الغزو وما قد يترتب عليه من آثار سلبية تؤثر على منظومة القيم والمبادئ التي سادت في مجتمعاتنا العربية عبر تاريخها الممتد لمئات السنين.

وكما يرى بعض الغربيين أن الإسلام لا يزال يشكل خطراً ثقافياً وحضارياً وسياسياً وعسكرياً على ثقافة الغرب، ومصالحه. فمن حقنا أن نرى في الثقافة الغربية المخاطر التي تتهددنا، ومن حقنا أيضاً الوقوف أمام هذه التحديات بكل قوة وحسم.

وليست هذه دعوة إلى التوقف عن الانفتاح على العالم المعاصر الذي تشكل الثقافة الغربية على مستوى

(٢٩) انظر: المسألة الثقافية في العالم العربي الإسلامي، رضوان السيد وأحمد برقاوي ص٧١، دار الفكر، سورية، ١٩٩٨م.
(٣٠) السابق ٧٦

الفكـر والإبـداع النظـري والتطبيقـي ذروتـه ، ومجـال تكوينه وازدهاره ؛ فنحن نؤمن "أن إقفال الباب خوفا من الغزاة الثقافيين ، يعني أننا لا نتيح لأنفسنا الفرصة لمراجعة ما عندنا أو ما عند الآخرين في المجال الثقافي ، وأن العملية تستمر كما بدأت قبل مئتي عام: استيراد التكنولوجيا ثم استيراد ، ثـم استيراد..[٣١]" فالتقليد بـلا شـك عنصـر سـلب لمبـدأ الاجتهـاد ولفاعليـة العقـل ، فالحق يعرف بالدليل لا بالتقليد.

علينا أن نثق بما في أيـدينا مـن ثقافة عربية وحضـارة إسلامية تمتلك إمكانيـات ذاتيـة هائلـة يمكـن بالإصـلاح والتجديـد جلاؤهـا والاسـتعانة بهـا في العصـرنة ، فالتخلف الحضاري الذي تعاني منه الأمة لـيس ذاتياً ، بـل هـو أمـر طـارئ نتيجـة ظـروف تاريخيـة يمكـن تجاوزهـا...إذا خلصـت النوايـا وصـدق العـزم ورزقنـا الإخلاص في القول والعمل.

الثقافة والهويـة أمـران لا يمكـن عزلهمـا عـن مجمـل العلاقات المتشابكة في قلـب المجتمعـات العربيـة سـواء في ذلـك السياسـي منهـا أو الاقتصـادي ، أو غيرهمـا ممـا نلاحظه في عالم الثقافة والفكر.

إن الانبهـار بـالغرب والاستسـلام التـام للحضـارة الوافدة يرجع في أحـد أسبابه إلى "خلـوّ السـاحة العربيـة من ثقافة عربية أصيلة تشبع حاجاتنا الفكرية والإنسانية في إطار العالم الغائر الثائر المملوء بالحركة والنشـاط في شتى الاتجاهات ، وإلى عدم القدرة أو ضعف الرغبة في الابتداع والابتكار ، بالإضافة إلى العـزوف عـن الإنتاج الفكـري العربـي الأصـيل ، إمـا لعـدم القـدرة علـى اسـتيعابه وكثرتـه ، وإمـا لصـعوبة مادتـه اللغويـة ، وأسـاليبه التعبيريـة ، ونتيجـة لـذلك التفـت النـاس إلى منابع ثقافية أخرى تشبع حاجاتهم الفكرية وتفتح لهـم منافذ جديـدة تحرك الهـواء الراكـد وتنقيه مـن شـوائب الجمود ، وأنّ المحصـول الفعلي لهـذا كله هـو التغريـب الفكري واللغوي الذي هو أشبه بالزهور الصناعية التي لا طعم لها ولا رائحة. [٣٢]

وقد فسر ابن خلـدون هـذا الانبهـار الـذي قـد يصـل إلى الاستسلام التام للحضارة الوافدة الفتية بأنـه ظاهرة تعتور الأمم المغلوبة ، وقد خصص لهذه الظاهرة فصـلا كاملا في مقدمته تحدث فيه عن أن: المغلوب مولـع أبـداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسـائر أحوالـه وعوائده " وقد حذر ابن خلـدون مـن هـذه التبعيـة حـين قـرر في فصـل آخـر: "أن الأمـة إذا غُلبـت وصـارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء[٣٣] " .

علينـا أن نحصـر مواقـع الخطـر وأن نـناقش بصـراحة أوجه الخلل التي يمكن أن نـؤتى منهـا ، كمـا يجـب علينـا

(٣١) المسألة الثقافية ١٧.

(٣٢) انظر: خـاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، د. كمـال بشـر: ١٦٠ –١٦٣.دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥م.

(٣٣) انظـر: مقدمـة ابـن خلـدون ، عبـد الـرحمن بـن محمـد ، تحقيـــق: درويش الجويـــدي ، ط١ ، بـــيروت ١٩٩٥ ، ص ١٣٧الفصل الثالث والعشرين.

البحث عن حلول آنية تدفع بها الخطر وأن نضع استراتيجيات تصب في صالح حماية الذات والحفاظ على الهوية، دون إيغال في التقوقع أو التشرنق، أو ضرب لون من العزلة حول أنفسنا ننقطع بها عن العالم من حولنا فلا نرى للتقدم سبيلاً ولا نعرف للنهضة طريقاً، لأننا لن نستطيع أن نطور أنفسنا، أو نحدِّث ما بين أيدينا من ثقافة وحضارة مهما بلغت قيمتها وعظمتها إلا إذا قارنا أنفسنا بالآخرين وما عندهم.

يرى حسام الخطيب أن الميل الشديد باتجاه الهوية أو الأصالة التاريخية، يحمل في ذاته خطر الانقطاع عن العالم المعاصر، وبالتالي عن تحقيق الأصالة ذاتها... وفي الوقت نفسه فإن الجنوح الشديد باتجاه المعاصرة يحمل في ذاته خطر انقطاع الإنسان أو المجتمع عن تاريخه وهويته، وبالتالي يجعله معرضاً للغزو ويضعف حاجته التمييزية (٣٤)". نحن لا نريد مجتمعاً منغلقاً، أو متقوقعاً حول ذاته يتحصن بالقديم ويسد النوافذ أمام الثقافات الأخرى، بل علينا أن نختار من بين هذه الثقافات ما يناسبنا، وما يعزز من هويتنا، مهتدين في هذا بهدي نبينا - صلى الله عليه وسلم - الذي رسم لنا الطريق والمنهج فقال: "الكلمةُ الحِكْمَةُ ضالَّةُ المؤمنِ، فحيثُ وجدها فهو أَحَقُّ بها٣٥"

(٣٤) انظر: الثقافة والتربية في خط المواجهة، حسام الخطيب ١٤ - ١٨

(٣٥) الحديث رواه أبو هريرة في: سنن الترمذي — وقد ورد برقم: ٢٦٨٧

فلا مانع إذاً من التواصل مع الغرب شرط عدم التخلي عن هويتنا الإسلامية ولا ثقافتنا العربية.

وقد رأى مالك بن نبي المفكر الإسلامي الجزائري: "أن التواصل مع الغرب ممكن بل ضروري لكن من موقع الند للند ... كما ذهب إلى أن مخاوف الإسلاميين الصحويين من أوربا لا مسوغ لها إلا إذا بقينا على انحطاطنا ومنازعاتنا وانقساماتنا ٣٦"

علينا أن نعمل من أجل أن تصبح ثقافتنا نابعة من حياتنا الاجتماعية، ومن مورثنا العلمي والحضاري وما يتلاءم مع معتقداتنا وتقاليدنا وتراثنا، وعلى مثقفينا ومفكرينا أن يجتهدوا في إبداعاتهم؛ ليصبح كل ما يقرؤه المواطن من إنتاج العقل العربي، أو بتعبير آخر أن تكون ثقافتنا ذات جذور تضرب في أعماق تاريخنا، ثقافة أصيلة عريقة، بعيدة عن التقليد والتكرار لما عند الأمم الأخرى، ثقافة مستقلة لها شخصيتها التي تميزها عن غيرها من الثقافات.

خامساً: في المجال الاجتماعي

استطاع التغريب أن ينفذ إلى حياتنا الاجتماعية حتى بات التحدث باللغات الأجنبية لدى كثيرين من أفراد المجتمعات العربية ميزة ومعياراً للثقافة، ودليلاً زائفاً على الرقي الحضاري، خاصة لدى أوساط الشباب وبعض أدعياء الثقافة ممن ضعفت حصيلتهم

(٣٦) الثقافة والتربية في خط المواجهة، حسام الخطيب ٤٦، دمشق ١٩٨٣م.

من مفردات اللغة وصعب عليهم التعبير عن أفكارهم أو مشاعرهم بلغتهم، أو عجزوا عن التأليف والإنتاج بها، وهؤلاء – غالباً – لا يقرون بعجز قدراتهم أو ملكاتهم البيانية، ولا ينسبون الضعف إلى مهاراتهم اللغوية، ولا يعترفون بتقصيرهم تجاه لغتهم العربية، وتقاعسهم عن الجد في اكتسابها، وإنما ينسبون العجز والضعف إلى اللغة نفسها فيتهمونها بالضيق والفقر، وينسبون مفرداتها إلى الثقل والغرابة والوحشية والقصور عن مجاراة تطور الحياة، وما إلى ذلك من تهم وعلل عادة ما يتشبث بها العاجز أو الجاهل باللغة من أمثال هؤلاء الذين لا يتورعون عن خلط كلامهم بمزيد من الألفاظ الدخيلة والتعبيرات الأجنبية، وما ذلك إلا للتدليل على أنهم قد صاروا من نخبة المجتمع وصفوته، في مجتمع أصبح من لا يتقن إحدى اللغات الأجنبية فيه، خاصة الإنجليزية، أو الفرنسية يتحاشى الدخول إلى بعض المطاعم، أو الفنادق، أو حتى المكتبات، وإن كانت في دولة عربية؛ تفادياً للإحراج!

ومن المؤسف حقاً أن نرى شوارعنا العربية وقد ازدحمت باللافتات المكتوبة باللغات الأجنبية وكأننا نتنقل في شوارع عاصمة أوربية، بل بات يتردد على مسامعنا من بعض أنصاف المتعلمين، وأشباه المثقفين من يطالب بإحلال اللهجات المحلية بدل اللغة العربية الفصحى في الأماكن المتبقية لها في الدول العربية، وليس خفياً ما تحمله هذه الدعوات من إضعاف للغة، وتقليل من شأنها في النفوس، الأمر الذي يمهد للقضاء عليها وإحلال اللغة الأجنبية محلها [٣٧].

من المؤسف أيضاً أن يتسلل التغريب إلى المراكز الصحية والمستشفيات وكذلك في الفنادق حتى صارت اللغة الأجنبية هي اللغة السائدة في معظم تلك المواقع، مع أن غالبية الأطباء والعاملين فيها والمترددين عليها من العرب.

إن المرء ليشعر بالألم والحسرة عندما يتسلم وصفته الطبية أو (فاتورة) حسابه في الفندق فيجدها محررة بلغة أجنبية، بل إن الألم يزداد وتتضاعف الحسرة حينما تبحث عمن يحسن العربية في تلك المواقع فلا تجده. فمن المسؤول عن هذا التخاذل والتنكر الذي يطمس هويتنا، ويؤثر سلباً على انتمائنا؟!

إنّ انتشار العمالة الأجنبية الوافدة إلى الدول العربية بشكل عام وإلى دول الخليج العربي بشكل خاص يمثل خطراً على منظومة القيم والعادات والأخلاقيات العربية والإسلامية، فضلاً عن تأثيره السلبي على اللغة العربية الفصحى؛ بسبب اختلاط هؤلاء الوافدين بأفراد المجتمع وذوبانهم فيه مع تنوع لغاتهم ودياناتهم وجنسياتهم.

لقد صار الأمر غريباً وعجيباً أن نرى اللغة العربية وقد صارت غريبة بين أهلها، حتى كادت جميع المؤامرات التي حاكها أعداؤها أن تتحقق في زماننا،

---

(٣٧) التعريب الشامل سبيل الإبداع والنهضة، كمال سعد أبو المعاطي، ضمن أعمال المؤتمر الأول: اللغة العربية ومواكبة العصر، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المحور الأول.

فنحن نرى العربية مستبعدة عن غالب مجالات الحياة الثقافية فضلاً عن مجالات العلوم التطبيقية، مع ما في هذا الإبعاد من تعويق لسبل النهضة الحقيقية للأمة، إذ لاشك أن هذا الإبعاد يكرس الجهل، ويقطع أواصر القربى بين العرب بعضهم بعضاً وبينهم وبين إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، والأخطر من ذلك كله أنه يقطع العرب عن ماضيهم وتراثهم الفكري الذي هو مناط فخرهم وعزهم الأمر الذي يترتب عليه إضعاف الانتماء وزعزعته وتذويب الهوية، بل ربما أدى إلى محوها تماما.

إن الانتماء الذي لا يقل في أهميته عن سائر المكتسبات المجتمعية التي يحققها الفرد من خلال وجوده في جماعة ينتمي إليها ويشعر بالاعتزاز بها، ينتقل إلى الأجيال المتعاقبة بالتعلم والنقل عن طريق الكبار، فهو ينتقل إلى الأطفال عن طريق الوالدين والمحيطين، فإذا كان حال الكبار هو كره الأوطان والتخلي عنها والتنصل من المسؤولية تجاهها كان انتماء الأبناء أقل، وكلما زاد شعورنا نحن المربين بالانتماء؛ وترجمنا تلك المشاعر إلى مواقف وأفعال، نقلنا تلك المفاهيم إلى عقول ووجدان أبنائنا بدون أن ننطق بكلمة واحدة.

المبحث الخامس

مقاومة التغريب

بعد أن عرفنا التغريب، وتعرفنا على أبرز مجالاته، وعرفنا أنه تيار مشبوه يتسلل إلى حياتنا برفق، وأنه يهدف إلى نقض عُرى الإسلام الواحدة تلو الأخرى، وأنه لا ينفك عن الدعوة إلى التحلل من التزاماته وقيمه واستقلاليته والدعوة السافرة إلى التبعية للغرب في كل توجهاته وممارساته، فقد صار لزاماً على أبناء الأمة جميعاً - خاصة العلماء وقادة الفكر منهم، ومَنْ بيدهم القرار - كشف مخططاته والوقوف بصلابة أمام سمومه ومفترياته، ونرى أن مقاومة هذا التيار تحتاج إلى:

١ -تعزيز مكانة اللغة العربية في النفوس وإعلاء شأنها، والثقة فيها، والحفاظ عليها

إن الشعور بقصور اللغة الأم، أو الجهل بمكانتها، وبما فيها من طاقات وإمكانات، أو الإحساس بالضعف فيها والعجز عن استخدامها بمرونة ومهارة كافية ربما كان أحد الأسباب المؤدية إلى التشبث بلغة أجنبية يراها بعضهم أكثر إغراء، بل ربما شجع على الاعتصام بهذه اللغة على أساس أنها الأنسب أو الأسهل، أو أنها الأعلى مستوى والأكبر مكانة والأكثر هيمنةً وانتشاراً ووجاهةً؛ ومن ثم فهي الأجدر بالتقدير والتقليد، ومن هنا يزداد الاقتراض من هذه اللغة الأجنبية، ويكثر التداخل بينها وبين اللغة الأصلية... ومع مرور الزمن تنسحب اللغة الأصلية أمام هذا الغزو اللغوي الغريب أو تضطرب وتتغير خصائصها بشكل يفقدها أهم وظائفها وهي تحقيق التواصل بين أبنائها المتحدثين بها مما قد يؤدي إلى تحطيم الفهم المتبادل بين أفراد الجماعة اللغوية، فيكون

ذلك سبباً لاضطراب الفرد نفسه من الناحية الثقافية، ومن ثم تذبذبه فكرياً وحضارياً"[٣٨].

إن التحدي الذي يواجه اللغة العربية في هذا العصر مرده عند كثير من الباحثين إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية الناتج غالباً عن الانبهار بكل ما هو أجنبي، والظن الزائف بأن التقدم لا يأتي إلا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية للجميع، بل التحدث بها بين العرب أنفسهم. وغني عن الذكر أن هذا الشعور يأتي من الإحساس بالهزيمة النفسية التي يعاني منها الإنسان العربي في هذا العصر [٣٩]؛ ولذلك يرى كثير من المهتمين بشأن العربية "أن استرداد ثقة الإنسان العربي في لغته هي نقطة البداية في استرداد ثقته في ذاته ومؤسساته، فلا بد له أن يؤمن بقدرة لغته الأم على تلبية مطالب العصر وفي قدرتها على المواجهة الساخنة في ساحة الاحتكاك اللغوي الذي يشقى به مجتمع المعلومات، إذ من الثابت أن كل اللغات متساوية في قدرتها على التعبير عن أي مفهوم، وأن معجم أية لغة قادر على أن يتسع ليضم كلمات جديدة تعبر عن مفاهيم جديدة؛ ولم تخرج اللغة العربية عن هذا الإطار فقد أثبتت قدرتها على التعبير عن كافة المفاهيم عبر القرون، ونجحت في أداء مهامها القومية كاملة باعتبارها أداة أساسية للاستيعاب والتعبير والإبداع، وبوصفها لغة للحياة والفكر والعمل [٤٠]".

لقد استطاعت العربية الوفاء بحاجة الحكم الأموي في تعريب الدواوين ونُظُم الإدارة للمجتمعات المختلفة والأقاليم والجيوش والحياة العامة، مستفيدةً في ذلك من عراقة التجربة التي عرفتها الإمبراطوريتان الرومانية والفارسية المجاورتان للعرب، فضلاً عما اقتبسته من الحضارة الهندية، ولم تكن عاجزة أو قاصرة، كما أنها لم تذب في مجرى لغات تلك الحضارات، ولم تكن امتداداً عضوياً لها، ولم يفكر أحد ممن ينتسبون إليها في اتخاذ الرومانية أو الفارسية، أو الهندية لغة للعلوم التي عرفها ذلك الزمن، كما صلحت العربية لاستيعاب معطيات الحضارة العباسية بعلومها المتشعبة المعقدة وبأسمائها المستجدة الوافدة... ولم ترفض التأثر ولم تقبل أن تكون امتداداً شكلياً لتلك الحضارات ولغاتها، وأبت التخلي عن أي ملمح من ملامح الشخصية القومية وهي تحرز نجاحات علمية هائلة في مختلف الميادين.[٤١]

---

(٣٨) انظر: تعريب العلوم في ضوء العبرنة الإسرائيلية، السيد إسماعيل الصروي، ١١٧، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

(٣٩) انظر اللغة العربية في عصر العولمة، ١٦

(٤٠) انظر: اللغة العربية والتفاهم العالمي، رشدي طعيمة، ومحمود الناقة، ٧٩، دار المسيرة للنشر والتوزيع _عمان، الأردن ٢٠٠٩، وانظر: تعريب العلوم في ضوء العبرنة الإسرائيلية، السيد إسماعيل السروي، ٥٦.

(٤١) انظر: اللغة العربية وعلوم العصر، مسعود بوبو، الفكر العربي (مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية) العدد ٦٠ ص ٦١

إن هذا التاريخ المشرف للعربية يدفعنا إلى البحث وبسرعة عن أنجع الوسائل العملية التي تساعد في الخروج من هذا الواقع اللغوي المؤسف الذي ينذر بخطر الانسلاخ اللغوي المحتوم، والوقوع الحتمي في براثن التغريب. علينا أن ننهض بلغتنا حتى تستعيد مجدها وعزها بين أبنائها وبين اللغات على مستوى العالم، خاصة وأن الأمم المتحدة والمنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة وكثير من المنظمات والوكالات الدولية الأخرى قد اعترفوا بالعربية لغة عالمية حية، بل و اعتُمِدت العربية واحدة من أهم اللغات الرسمية عالمياً إلى جانب اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية التي يتحدث بها الملايين من الناس، وصار الحديث بها مسموحاً في كافة المحافل الدولية.

إن التحديات التي تواجهها لغتنا العربية في الداخل من بعض أبنائها، أو في الخارج بواسطة المتربصين بها والحاقدين عليها _خاصة في عصر العولمة الذي لا مكان فيه لضعيف _ يفرض علينا ضرورة التصدي لكل محاولات النيل من لغتنا ، تلك المحاولات التي تهدف إلى زحزحة اللغة العربية عن مكانتها في مجتمعاتها، و تسعى إلى تشويهها على ألسنة أبنائها .

وعليه؛ فلا بد من الأخذ بكل سبيل ممكنة من أجل مواجهة هذا السيل الجارف من ألفاظ الدخيل الغربية التي تتسرب في نعومة، وتفرض نفسها كل يوم على ألسنة أهل العربية، خاصة أن لغتنا تملك من أسباب القدرة والاتساع ما يؤهلها للتعبير عن كل جديد من معطيات الحياة بلغة عربية صحيحة سواء في ذلك العلوم، أو الفنون، أو حتى المخترعات الحضارية الحديثة. يقول الشيخ أحمد السكندري: "في اللغة العربية غُنْيَةٌ عن استعمال كثير من الألفاظ الأعجمية، وأن في بطون معجماتها مئات الألوف من الكلمات المهجورة الحسنة النغم والجرس الكثيرة الاشتقاق مما يصلح أن يوضع للمسميات الحديثة بدون حدوث اشتراك؛ لأن بعثها من مراقد الإهمال والنسيان يصيرها كأنها موضوعة وضعاً جديداً لها [٤٢]".

٢ -جعل أمن اللغة العربية وسلامتها من مقومات الأمن القومي للوطن العربي

المطلوب منا بذل المزيد من الجهد وإخلاص النية، والعمل على استنفار قدرات وإمكانات اللغة في كل مجال من مجالات الحياة. كما يجب على من بيدهم الأمر من المسؤولين والعلماء التصدي بكل حزم وشدة لكل رأي أو ممارسة من شأنها الإضرار باللغة، أو الإخلال بها وجعل أمن اللغة العربية وسلامتها من مقومات الأمن القومي للوطن العربي، إذ تعد اللغة والدين من أهم الأمور المكونة لملامح وهوية الأمة، وهما العنصران الأساسيان اللازمان دائماً لبناء ثقافات وحضارات الشعوب والأمم.

---

(٤٢) مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية، الجزء الأول، ٢٠٢. القاهرة .

وبناءً عليه، فإن التحديات التي تواجهها العربية في مجتمعاتنا العربية، التي تهدف إلى إقصائها عن ميدانها، تحتاج إلى تضافر جهود المخلصين من أبنائها للتصدي لها، والحد من مخاطرها سواء على المستوى التعليمي، أو غيره من المستويات، كالإعلام، والاجتماع، والاقتصاد، والثقافة، والسياسة، ...إلخ.

٣ –اعتماد "التعريب الشامل "هدفاً إستراتيجياً، والسعي لتحقيقه

علينـــا أن نسعى نحو "التعريب الشامل "نقاوم به التغريب و نجعله هدفاً إستراتيجياً نسعى لتحقيقه، ويمكن القول إن التعريب الذي ننشده ذو جانبين: جانب لغوي يتركز حول اللغة وقضاياها المختلفة، وهدفه هو العمل على أن تسود العربية الفصحى مناحي الحياة العربية كافة، وأن يعم استعمالها كل أبناء الوطن العربي في أقطارهم المختلفة، وجانب اجتماعي يتصل بكل جوانب الحياة الاجتماعية.

وينبغي أن نتيقن من أننا إذا نجحنا في أن نحقق تعريب العلم والفكر والفن والثقافة، فإن ذلك سيقودنا إلى تعريب كل جوانب المعرفة في المجتمع العربي، الأمر الذي يحفظ علينا هويتنا العربية الإسلامية، ويعزز من قيمة الانتماء.

لا بد أن نقر بأن الأمة ليست مجرد ملايين من البشر يعيشون على أرض واحدة، أو يرجعون إلى أصل واحد فحسب، وإنما الأمة أيضاً وحدة من الفكر والشعور والإرادة والعمل ومن أجل المشاركة في الفكر والشعور والإرادة والعمل لا بد أن يكون هناك اتصال بين أعضاء الجماعة القومية، ومن هنا تأتي أهمية فرض لغة واحدة في حياة المجتمع العربي؛ حتى تكون سياجاً قوياً أمام الغزو الثقافي والفكري الذي يهدد الهوية العربية والإسلامية خاصة في عصر العولمة الذي يسعى إلى فرض النموذج الغربي على حياة الشعوب بما فيها شعوب الشرق الأوسط والمنطقة العربية.[٤٣]

وأخيراً، فإننا نؤكد على ما سبق أن نادينا به من ضرورة كشف مخططات التغريب بكل أوجهه، والوقوف بصلابة أمام سمومه ومفترياته التي تبثها الآن شخصيات من بني جلدتنا، ووسائل إعلام ذات باع طويل في محاولات التغريب والتمكين له، بل وأجهزة وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية والماسونية الدولية، "فقد استطاع هذا التيار استقطاب كثير من أدعياء الثقافة والمفكرين العرب، فمسخوا هويتهم وحاولوا قطع صلتهم بدينهم والذهاب بولائهم وانتمائهم لأمتهم الإسلامية من خلال موالاة الغرب، والزهو بكل ما هو غربي"[٤٤] وهي أمور ذات خطر عظيم على الشباب المسلم يجب التصدي لها، والحيلولة دون تحقيق أهدافها.

إنّ اللغة العربية لا تشكو من ضعف في مكوناتها

(٤٣) انظر: تعريب العلوم في ضوء العبرنة الإسرائيلية، ١٢٠ _١٢٢.

(٤٤) انظر: " التغريب " موقع شبكة السرداب الإسلامية، على الشبكة العنكبوتية.

وبنياتها، بل تشكو من هوانها على أهلها، وهوان أهلها على أنفسهم وعلى الناس، وتشكو من عقم العقل العربي وعجزه عن الإبداع والإنتاج.

" إنّ قضية اللغة العربية يجب أن ترفع إلى مرتبة القضايا السياسية والإستراتيجية الكبرى للأمة. ويجب أن تعتبر قضية حكومات وشعوب لا قضية مهتمين ومتخصصين؛ لأنّ اللغة من المسؤوليات المباشرة للدولة، بل ربما تكون اللغة من المحددات الأساسية لبنية الدولة.

ولنا في حرص الفرنسيين والإنجليز والألمان واليهود وباقي شعوب الأرض، على لغاتهم ووحدتهم، الدرس والمثل، ولنا في جهود المخلصين من العرب مؤسساتٍ وأفرادًا القدوة والنبراس، من أجل لغة واعدة وجذابة ورائجة في سوق اللغات".(٤٥)

توصيات

– **جعل** قضية اللغة العربية ومسألة الحفاظ عليها من القضايا السياسية ذات الأهمية الإستراتيجية الكبرى للأمة. وعدها قضية حكومات، لا قضية مهتمين ومتخصصين؛ لأنّ اللغة من المسؤوليات المباشرة للحكومات والدول.

– **نناشد** المسؤولين عن التعليم في الدول العربية الرجوع عن أية قرارات سابقة تُلزِم مدارس التعليم الابتدائي بتدريس اللغات الأجنبية بجانب اللغة العربية في المراحل التعليمية الأولى للطفل؛ بعد أن تأكد أن ذلك يؤدِّي إلى عدم إتقان الطفل للغتِه العربية الفصحى، الأمر الذي قد يتسبَّب في وجود عائقٍ يمنع الطفل من الاتصال بتراثه العربي وفكره الإسلامي، إضافة إلى ما يمكن أن يؤدي إليه من تشرب الطفل ثقافة اللغة الأجنبية التي يدرسها، وترسيخ التبعية للأجنبي والاستخفاف – مستقبلاً - بكل ما هو عربي، وازدراء التراث والتعلق بأنماط الثقافة الأجنبية الوافدة، وهي أمور لها تأثيرها الخطير والمباشر في انتماء هؤلاء الأبناء لأوطانهم العربية وأمتهم الإسلامية.

– **العمل على** غرس الانتماء إلى الأمة وإعلاء شأن العربية في نفوس المواطنين تخليصًا لهم من عقدة التصاغر تجاه اللغات الأجنبية وخاصة اللغة الإنجليزية، و**اعتماد** التعريب الشامل هدفاً إستراتيجياً والعمل على تحقيقه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، خاصة في المجال الاقتصادي والسياسي والإعلامي والتعليمي، والحد من هيمنة اللغة الإنجليزية.

– **المطالبة** بميثاق شرف إعلامي، تحدد فيه وظيفة الإعلام العربي، وتوضح فيه مهمته، ودوره في الحفاظ على هوية الأمة، وتعزيز روح الانتماء لدى أبنائها، كما يجب الإكثار من القنوات الإعلامية الهادفة التي تعمل على توعية المسلمين، وأبناء الأمة العربية بحضارتهم، وتبرز لهم أهم خصائصها والعوامل التي تساعد على نهضتها.

---

(٤٥) فطرة الدفاع عن اللغة الأم بين التفعيل والتعطيل (وقائع ونماذج) د. رشيد أحمد بلحبيب: ١٩٦.

– **يجب أن** تتضافر وسائل الإعلام المختلفة، وتتبنى من البرامج والخطط ما يسهم في توعية المسلمين، وتعميق روح الانتماء في نفوسهم، مع بيان قيمته في حياتهم المعاصرة؛ و إظهار أن الانتماء إلى الأوطان يعزز من حبها في النفوس، ويُعلي من مكانتها في القلوب، ويدعو إلى الإخلاص لها، كما يدفع إلى العمل الجاد والمشاركة الفاعلة من أجلها.

– **على وسائل** الإعلام الابتعاد تماما عن تلميع بعض المثقفين الذين يروجون في كلامهم وأفعالهم ومظهرهم لثقافة الغرب غير عابئين بخطورة ما يقدمونه وتأثير ذلك على أبنائنا وأخلاق مجتمعاتنا التي تستمد قيمها وقدوتها، وسلوكها وأخلاقها من كتاب ربها وسنة نبيها (صلى الله عليه وسلم).

– **على رجال** الأعمال أن يمنحوا الفرصة لأبناء مجتمعاتهم وأن يوفروا لهم الوظائف المناسبة وأن يدركوا "أن اللغة في أية دولة هي أهم مظاهر السيادة، فإذا استُغني عنها بلغةٍ وافدة صارت الهيمنة اللغوية لغير اللغة الأم، ومن ثم تسقط الهوية وتضيع "ويقل الانتماء أو ربما يزول، وفي هذا من الخطر ما فيه؛ إذ إن الشخص الذي لا ينتمي لوطنه غالباً ما تسيطر عليه نفس عدائية ويسهل عليه التخريب.

– **لا ينبغي** حصر التحذير من الغزو الثقافي الذي يتهدد أمتنا في أنه مجرد شأن إسلامي يثيره الإسلاميون فقط، بل يجب النظر إليه على أنه شأن عام يشترك فيه كافة التيارات وجميع الاتجاهات سواء في ذلك الإسلامية منها، أو القومية، وعلى الجميع التصدي لهذا الغزو والتحذير مما قد يترتب عليه من آثار سلبية تهدد منظومة القيم والمبادئ التي سادت في مجتمعاتنا العربية.

– **العمل على** حصر مواقع الخطر ومناقشة أوجه الخلل التي يمكن أن نؤتى منها بصراحة وشفافية، كما يجب البحث عن حلول آنية ندفع بها الخطر، وأن نضع إستراتيجيات تصب في صالح حماية الذات والحفاظ على الهوية، دون إيغال في التقوقع أو التشرنق، أو ضرب لون من العزلة حول أنفسنا ننقطع بها عن العالم من حولنا.

– **ضرورة كشف** مخططات التغريب بكل أوجهه، والوقوف بصلابة أمام سمومه ومفترياته التي تبثها الآن شخصيات من بني جلدتنا، وصحافة مأجورة ووسائل إعلام ذات باع طويل في محاولات التغريب والتمكين له، بل أجهزة وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية والماسونية الدولية.

– **ضرورة** تعزيز مكانة اللغة العربية في النفوس وإعلاء شأنها والثقة فيها وجعل أمن اللغة العربية وسلامتها من أولويات الأمن القومي العربي.

ثبت المراجع

١. " التغريب" موقع شبكة السرداب الإسلامية ، الشبكة العنكبوتية.
٢. التعريب الشامل سبيل الإبداع والنهضة، كمال سعد أبو المعاطي، أعمال المؤتمر الأول: اللغة العربية ومواكبة العصر ،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، المحور الأول، ١٤٣١هـ ٢٠١٢م.
٣. تعريب العلوم في ضوء العبرنة الإسرائيلية ، السيد إسماعيل السروي، دار غريب للطباعة والنشر –القاهرة.
٤. التعريب والتغريب، د.عوض بن حمد القوزي ، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ١٠٢ ، القاهرة ٢٠٠٤م.
٥. تعزيز الهوية والانتماء لدى الأطفال والشباب العربي، محمد عبده الزغير.
٦. تعليم العلوم باللغة العربية، فؤاد صياح، اتجاهات وحلول، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، بيروت، ٢٠٠٠م.
٧. التغريب: مفهوماً وواقعاً، فريد محمد، مجلة الوعي الإسلامي، العدد٥٥٣، أغسطس ٢٠١١م.
٨. التغريب والغزو الصهيوني، عمر التومي الشامي، مجلة الثقافة العربية، ليبيا، العدد العاشر، السنة التاسعة، ١٩٨٢م .
٩. الثقافة والتربية في خط المواجهة، حسام الخطيب، دمشق، ١٩٨٣م.
١٠. خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٥م
١١. دور التعليم في تعزيز الانتماء، لطيفة إبراهيم خضر، عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٠م .
١٢. سيبقى الغلو ما بقي التغريب، مجلة العربي، الكويت، العدد٢٧٨، يناير ١٩٨٢م.
١٣. العربية والعولمة، معالم الحاضر وآفاق المستقبل، عمرو خاطر عبد الغني، مؤسسة حورس، الأسكندرية ٢٠١٠م.
١٤. العولمة وأثرها على اللغة العربية؛ د. عصام عيد أبو غربية؛ المؤتمر الدولي (اللغة العربية ومواكبة العصر)؛ ١٤٣١هـ؛ الجامعة الإسلامية؛ المدينة المنورة.
١٥. العولمة والتنشئة السياسية، قاسم حجاج ، السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام العدد ١٥٩. القاهرة، يناير ٢٠٠٥م.
١٦. الغربة في الشعر الجاهلي، عبد الرازق الخشروم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٨٢م.
١٧. فطرة الدفاع عن اللغة الأم بين التفعيل والتعطيل (وقائع ونماذج)؛ د. رشيد أحمد بلحبيب؛ المؤتمر الدولي (اللغة العربية ومواكبة

العصـر) ؛ ١٤٣١هـ ؛ الجامعة الإسلامية ؛ المدينة المنورة.

١٨. لسان العرب ، لابن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري ؛ حققه وعلق عليه ووضع حواشيه : عامر أحمد حيدر ؛ راجعه : عبد المنعم خليل إبراهيم ؛ الطبعة الأولى ؛ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ؛ دار الكتب العلمية ؛ بيروت.

١٩. اللغة العربية بين الموضوع والأداة، أحمد مختار عمر، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الثاني، يونيو ١٩٨٤م.

٢٠. اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، كمال بشر، ط١، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢١. اللغة العربية في عصر العولمة، أحمد الضبيب، العبيكان، الرياض ٢٠٠١م .

٢٢. اللغة العربية والتفاهم العالمي، رشدي طعيمة، ومحمود الناقة، دار المسيرة للنشر والتوزيع _عمان ، الأردن ٢٠٠٩م.

٢٣. اللغة العربية وتحديات العصر ؛ د. محمود أحمد السيد ؛ الطبعة : ١٤٢٨هـ -٢٠٠٨م.

٢٤. اللغة العربية وعلوم العصر ، مسعود بوبو، الفكر العربي ، مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية ، العدد ٦٠ .

٢٥. مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية، العدد الأول، القاهرة .

٢٦. المسألة الثقافية في العالم العربي الإسلامي، رضوان السيد وأحمد برقاوي، دار الفكر، سورية، ١٩٩٨م.

٢٧. المعجم الوسيط ؛ مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ؛ الطبعة الرابعة ؛ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ؛ مكتبة الشروق الدولية ؛ مصر.

٢٨. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٢م.

٢٩. مفهوم المواطنة وعلاقته بالانتماء، عثمان بن صالح ، مجلة آفاق، مركز آفاق للدراسات والبحوث.

٣٠. المقدمة ، وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر؛ لابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٩٩٥م.

٣١. من أخلاق المؤمنين، حسن جودة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣٢. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ؛ إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني ؛ طبعة: دار الندوة العالمية.

Twisting the Tong towards Foreign Languages

Kamal Saad Abo-Elmaaty Ahmad
Professor of Arabic Language and Literature
King Abdel Aziz University

Abstracts: This research benefited from Syntax theory of grammar analysis of the style of the Koran; and concluded that the characteristics of the style of the Koran not Alteward lexical restrictions, contrary Aaturkab fashionable, and the presence of the script context of the Koran, and delete the sentence is not uncommon, and that grammatical options different to get to the meaning and goal. Therefore, this research analyzed the examples of the Koran has a special style in foundries is identical language for use by al-Qaida common grammatical and before that search spoke about the importance of grammatical composition theory.

Tag words: Syntax theory - Analysis of Grammar - Koran style